8

د. منصور فايز

❖ الدكتور (على العطفي) اسم وهمي ... لم اسمع عنه إلا في الصحف

❖ حين قال عبد الناصر : السجاير هي متعتي الوحيدة .. فلا تحرموني منها

❖ أصيب الرئيس بالقلب ونشرت (الأهرام) أنه مريض بالأنفلونزا

obeikan.com

obeikan.com

رغم مرور أكثر من عشرين عاما على وفاة عبد الناصر إلا أن وفاته لا تزال تمثل لغزا للكثيرين ... فقد أثار عبد الناصر وهو حي كثيراً من علامات الاستفهام ، ولكنه أثار منها بعد أن مات ما لم يقدر الكثيرون على الإجابة عنها ... ولكنهم لا يزالون يحاولون البحث عن إجابات... ولكن ليس لدي من يملكون الحقيقة !

ونقول أن وفاة الرئيس عبد الناصر كانت لغزا مركبا ... فهي لم تكن فقط لغزا سياسيا بل كانت لغزا طبيا في الأساس ولذلك فإن من يملك حل ذلك اللغز هم الأطباء ، خاصة أولئك الذين عرفوا تاريخه المرضي بل كتبوه بأيديهم . وقطعوا معه الشوط حتى نهايته . حتى لفظ أنفاسه الأخيرة بين أيديهم ، وحدهم ، دون غيرهم .

والدكتور منصور فايز لم يكن فقط واحدا من هؤلاء ... بل كان على رأسهم جميعا فهو رئيس الفريق الطبي المعالج للرئيس منذ عام ١٩٦٣ وحتى مات عام ١٩٧٠ ، وهو أستاذ الأمراض الباطنية وعالمها الذي لا يشق له غبار ، وهو فوق ذلك صديق الرئيس الذي لو كان قد شعر بأية شبهة جنائية في الوفاة لكان أول المطالبين بالتحقيق إظهارا لحقيقة تتعلق بأخطر أصدقائه وأعظمهم .

وهو هنا في هذا الحديث يلقي المزيد من الضوء على بعض الأمور التي باتت لغزاً في حياة الرئيس وتاريخه المرضي ... يتحدث عنها كطبيب وصديق ... صدوق .

نحن نعرف أنك كنت الطبيب المعالج للفريق محمد حيدر القائد العام للجيش المصري في عهد الملكية كما كنت الطبيب المعالج للسيد على ماهر رئيس وزراء مصر قبل الثورة وأول رئيس للوزراء بعد الثورة فمتي وكيف وقع عليك الاختيار لتكون الطبيب المعالج للرئيس جمال عبد الناصر ؟

ـ قبيل منتصف الستينات اتصل بي الدكتور أحمد ثروت الطبيب المرافق للرئيس جمال عبد الناصر وأبلغني أن الرئيس طلب منه أن يعرض على الإشراف على

علاجه كان ذلك بعد ثلاثة شهور من وفاة المرحوم الدكتور أنور المفتي الذي كان يشرف على علاج الرئيس ... لقد كان اختياري لهذه المهمة من جانب عبد الناصر تقديرا كبيراً لي حيث كانت سمعتي أساس هذا الاختيار والفيصل فيه ، فلم يكن الرئيس يعرفني شخصياً ، ولم أكن طبيبا في القوات المسلحة لأعرفه أو يعرفني بحكم موقعي .

دخلت منزل الرئيس جمال عبد الناصر لأول مرة ، كان منزلا بسيطا ، بل متواضعا بالقياس إلى ما نسمعه عن منازل الرؤساء ... وجدت الرئيس واقفا ليرحب بي في بساطة شديدة ، وعلت شفتاه وعيناه ابتسامة مرحبة أزالت على الفور توتر اللقاء الأول .

وبعد حوار قصير سأل فيه الرئيس عني وعن أسرتي دعاني إلى إجراء الكشف عليه ولما انتهيت لم يفته أن يطلب مني أن أتولى الإشراف على علاجه برغم أنه سبق لي أن أبلغت الدكتور ثروت بأن ذلك يسعدني وشعرت من أول لقاء بمدى دماثة الخلق ورقة المشاعر التي تميز بها جمال عبد الناصر ... فلم يكن ليترك مثل هذا الطلب يأتيني من طبيبه المرافق وقصد أن يشعرني بأنه يطلب ذلك بنفسه .

وخرجت من عند جمال عبد الناصر لأكتب تقريري بنتائج الكشف ... ومن ذلك الوقت توليت مهمة الإشراف على علاج الرئيس عبد الناصر حتى وفاته رحمه الله . كنت أزوره بصفة دورية كل أسبوع مرة وإذا دعت الحاجة كانت زيارتي له تتكرر يومياً .

الرئيس الإنسان

لقد عايشت الرئيس فترة من الزمن فهل يمكن أن تصف لنا يوما عاديا من حياة الرئيس ؟

ـ كان من عادة الرئيس أن يصحو مبكرا ويطلب كوبا من الشاي في حجرته ، ويبدأ يومه بالاطلاع على جميع الصحف المصرية والاستماع إلى نشرات الأخبار الصباحية في الإذاعات العربية والعالمية ثم يبدأ عددًا من الاتصالات الهاتفية بالمسؤولين في الدولة . وبعد حوالي الساعتين . أي في التاسعة صباحا كان الرئيس يطلب الطبيب المرافق الذي ينفذ العلاج المقرر له ، وفي هذا الوقت كنت أدخل عليه حين أحضر في زيارتي الدورية .. وخلال السنوات التي عرفت فيها جمال عبد الناصر عن قرب وجدته إنسانا متواضعا حلو الاستقبال ، وكان دائما سريع البديهة قوي الملاحظة . مرح الروح مهما كانت التحديات التي تشغل باله ، كان يتحدث معي قبل الكشف عليه حديثا عاما ، فإما أن يحكي عن بعض مشاغله وكنت أستمع لما يشاء روايته لي ، أو أن أجيبه عن بعض الأمور التي تهمه .

هل كان لمرض السكر تأثيراته على النظام العادي لحياة الرئيس ؟

ـ كان الرئيس جمال عبد الناصر يعاني من مرض السكر منذ عام ١٩٥٨ ولم تظهر عليه أي مضاعفات لهذا المرض منذ ذلك التاريخ وحتى ١٩٦٨ وانحصرت المضاعفات حينذاك في آلام الساق التي بدأ يشعر بها وكان مرض السكر وراثيا في عائلته فقد كان أخوه مريضًا بالسكر وكذلك كان أحد أعمامه ... وكان الرئيس يتبع نظاما خاصا في الأكل لعلاج السكر ، ولم أجد متاعب في هذا المجال ، فقد كان بطبيعته غير ميال للإكثار من الأكل وكان طعام الرئيس وعائلته بشكل عام أكلا مصريا عاديا وصحيا .

ففي الإفطار كان طعام الرئيس يتكون عادة من الخبز والفول المدمس والجبن الأبيض وفي العشاء كان بعض أنواع الفاكهة الطازجة يحل محل الفول ، أما طعام الغذاء فهو يتكون من أحد أنواع الخضار والسلطة الخضراء وبعض اللحم والخبز

وكانت كمية النشويات في الوجبات الثلاثة محدودة .

ألم يكن هناك استثناء في هذا النظام إطلاقا؟

ـ نعم ... لم يخل الأمر من بعض الاستثناءات فأحيانا كان الرئيس يبلغني بأنه قد أكل كمية أكثر من الخبز ، كذلك كان يخرج على نظام أكله حين تطهو زوجته أحد الأصناف «مثل المحشي» وهي التي عرفت بإجادة الطهي بامتياز .

وكان علاج السكر عند الرئيس جمال عبد الناصر يعتمد على حقن الأنسولين حيث كانت العقاقير التي تعطي عن طريق الفم غير مجدية في علاجه ، فكان عليه أن يأخذ حقنة أنسولين طويلة المفعول يومياً قبل الإفطار .

وبعد فترة من إشرافي على علاج الرئيس ... رأيت إشراك الأستاذ الدكتور على البدري أخصائي مرض السكر المعروف معي في العلاج . وكان الأستاذ الدكتور ناصح أمين يعمل التحاليل اللازمة .

أطباء أجانب للزيارة فقط

هل كان هناك أطباء أجانب يشاركون في علاج الرئيس مع فريق الأطباء المصري ؟

ـ كان يشترك معنا في علاج الرئيس عبد الناصر الدكتور بولسون من الدانمارك وهو من أكبر أخصائي السكر في العالم ، وكان يزور الرئيس مرة كل ستة أشهر أو إذا دعت الحاجة وكان الدكتور بولسون من أشد المعجبين بشخصية الرئيس جمال عبد الناصر وكان دائم الإشادة به كزعيم عالمي ، وكان يأتي متطوعا رافضا أية أتعاب .

ومن آن لآخر كان يزور الرئيس أيضا الدكتور فيفر من ألمانيا الغربية وهو أخصائي شهير في مرض السكر .

وحدث أن علم سفيرنا في فيينا في ذلك الوقت(عام ١٩٦٨) بأن الرئيس يشكو من آلام في الساق فتطوع وأبلغ الرئيس بوجود طبيب عالمي في فيينا عالج الملك سعود من آلام ساقيه بعد أن كان عاجزا عن المشي . أخبرت الرئيس عن ذلك الطبيب وقال لا مانع من استشارته ، وفعلا حضر إلى القاهرة وقام بفحص الرئيس وأرجع آلام الساق إلى التهاب الأعصاب ، ولما أطلعناه على نظام العلاج لم يضف إليه جديدا ، وتصادف أن كان يزور القاهرة في ذلك الوقت أستاذه من النرويج من أكبر الأخصائيين في التهاب الأعصاب في العالم فاتصلت به وطلبت منه أن يفحص الرئيس .

وبعد فحصه اتفق في الرأي معنا ونفى وجود أية علاقة بين هذه الآلام والتهاب الأعصاب . وقرر أن الآلام سببها ـ كما قررنا نحن ـ ضعف في الدورة الدموية في الساق .. واقتنع الرئيس خاصة وأن الطبيب النمساوي لم يضف جديدا إلى العلاج . ثم عاد لفكرة العلاج الذي خضع له الملك سعود في فيينا ونوعيته تراود الرئيس وطلب مني السفر إلى فيينا لاستيضاح الأمور .

وفي فيينا دعاني السفير المصري هناك على العشاء مع الطبيب الذي ظل يتحدث عن نفسه وعن أبحاثه طوال الوقت موجها حديثه إلى السفير الذي كان فاغرا فاه من الانبهار .

توجهت بعد ذلك لزيارة هذا الطبيب في المستشفي وقمت بفحص بعض المرضي معه ولاحظت أن مستواه الطبي يكاد يكون فوق المتوسط ، ولم أجد جديداً يفيد في علاج الرئيس فعدت إلى القاهرة .

بقي أن نعرف أن السفير المصري في فيينا في ذلك الوقت كان حسن التهامي .

***

حكاية الدكتور على العطفي

ما رأيك في الإشاعات التي ترددها بعض الأجهزة الأجنبية والتي تقول أن إسرائيل نجحت في زرع طبيب علاج طبيعي اسمه على العطفي كان يقوم بتدليك الرئيس بمادة سامة بطيئة المفعول هي التي أدت إلى وفاته ؟

- لم يكن اسم الدكتور علي العطفي من بين المترددين لأي شأن من الشؤون على منزل الرئيس عبد الناصر الذي لم يخضع للعلاج الطبيعي إلا لفترة محدودة بدأت بعد عودته من تسخالطوبو في نهاية ١٩٦٨ وانتهت بعد إصابته بالأزمة القلبية الأولى عام ١٩٦٩ حين قمت أنا بوقف هذا العلاج الطبيعي لتعارضه مع علاج المصاب بالقلب وكان طبيب العلاج الطبيعي هو الدكتور فودة ، الضابط بالقوات المسلحة ومسؤول العلاج الطبيعي بمعهد التأهيل بالعجوزة .

حكاية أنور المفتي

وما رأيك فيما ادعاه مصطفي أمين بأن عبد الناصر قتل الدكتور أنور المفتي الذي كان يقوم بعلاجه ، خاصة وأنك توليت علاج الرئيس بعد وفاته مباشرة ؟

- قرأت أن المرحوم الدكتور أنور المفتي قد مات مسموما عقب تناول كوب عصير الجوافة في منزل عبد الناصر ، وأن ذلك بتدبير صلاح نصر مدير المخابرات العامة في ذلك الوقت وقد ترددت هذه الشائعات مع بداية حملات ضاربة وظالمة ضد عهد عبد الناصر كله استمرت لسنوات طويلة استهدفت مبادئه وكان أكثر من المهم هذا الافتراء ، الدكتور على المفتي ، شقيق الدكتور أنور المفتي وهو طبيب الأنف والأذن والحنجرة الذي كان يتولى علاج الرئيس عبد الناصر حتى بعد وفاة شقيقه الدكتور أنور ، فهل من المعقول أن يبقيه عبد الناصر طبيبا له إذ كان صحيحا

أنه قتل أخاه بالسم ؟

كيف عرفت طبيعة عبد الناصر المريض ... وكيف كان يتعامل مع المرضى ؟

ـ كان عبد الناصر مطيعا يؤمن بأهمية الالتزام بإرشادات الطبيب قدر استطاعته، ومن الطريف أنه كان لا يحب أن يرى منظر الدم وكان يدير وجهه عند أخذ عينة دم منه ، وكان يدخن بكثرة سجائر «كرافن» بدون فلتر ثم عدل منها إلى سجائر«كنت » وقد حاولنا مرارا منعه من التدخين ولكن دون جدوى . كان يقول : «إن السجائر هي متعتي الوحيدة ... فكيف يحرموني منها ؟ »

ولكن في عام ١٩٦٨ حين بدأ يشعر بآلام الساق نتيجة قصور الدورة الدموية طلبنا منه ضرورة التوقف عن التدخين كما طلب منه الأطباء الروس ذلك وامتدت يد جمال عبد الناصر بالسيجارة المشتعلة في يده إلى المنضدة بجانبه وإطفائها ، ولم يعد إلى التدخين أبدا بعدها .

وكان عبد الناصر يعمل قرابة الثماني عشر ساعة يوميا ، كان يصحو مبكرا وينام متأخرا ، وكان طوال يومه حبيس مكتبه ما بين الأوراق والتليفون وجهاز الراديو ، كان عمله هو حياته .

كانت المشكلات التي يتعامل معها جسيمة بقدر طموحاته ، وبقدر دوره الرائد في عالمنا العربي وفي العالم الثالث . وحين كنت أنصحه بالبعد عن الانفعالات والحد من الجهد الذي يبذله في العمل كان يقول : «هذه طبيعتي ولا أستطيع لها تغيرا، وهذا قدري ولا مناص من مواجهته »

الأزمة القلبية الأولي

بالطبع كانت الأحداث تؤثر على صحة الرئيس ... كيف كان يحدث ذلك

وما أهم الأحداث التي أثرت عليه ؟

- في عام ١٩٦٧ تعرض الرئيس لأعنف الانفعالات بسبب الهزيمة ، ثم بسبب الأحداث التي انتهت بالمشير عامر إلى الانتحار ، وتطهير المخابرات العامة وأجهزة الأمن ، والتي شهدت كذلك جهدا ضخما بذله في العمل اليومي المتواصل لمدة ١٨ ساعة متصلة ، إذ زادت نسبة السكر عند جمال عبد الناصر ، ولكن كان البول خاليا من «الأسيتون» وقد استدعينا الدكتور بولسون من الدانمارك لاستشارته ، فلم يزد شيئا على العلاج الذي قد قررناه لمواجهة الحالة .. واكتفي بالقول أن الحالة ستتحسن بمرور الوقت .

وقد تعرض الرئيس للأزمة القلبية الأولي في سبتمبر عام ١٩٦٨ في أعقاب غارة إسرائيلية على الزعفرانة بالبحر الأحمر وقتلها لعدد من المدنيين من خفر السواحل ... وقد حزن الرئيس كثيرا لمقتل هؤلاء الأبرياء المدنيين خاصة وأنهم تجاوزوا الخمسين من العمر . وأصيب بالأزمة القلبية الثانية التي أودت بحياته في أعقاب أحداث «أيلول الأسود» بالأردن ... نظرا لكثرة الضحايا من المدنيين .

هل كان الرئيس يطلب منكم عدم إذاعة أخبار مرضه أم أنه لم يكن يهتم بذلك؟

في عام ١٩٦٨ أصيب جمال عبد الناصر بالأزمة القلبية الأولى وأثبت الفحص الإكلينيكي ورسومات القلب المتكررة حدوث جلطة بالشريان التاجي للقلب.

في البداية قلت له : أن هناك تقلصات في الشرايين نتيجة الإرهاق الشديد وأنه يحتاج إلى الراحة . وكان أول سؤال له هو « يعني إيه راحة.. ؟ قد إيه يعني » ؟ فأجبته « مش لمدة طويلة وكل شيء سينتهي بإذن الله » وفهم عبد الناصر أن قلبه قد أصيب .

وحين طلبت منه اشتراك أحد أساتذة القلب بجامعة القاهرة معنا رفض الرئيس

بطريقة قاطعة وقال « مش لازم أي حد يعرف أني مريض بالقلب أنا داخل على فترة مهمة السنة الجاية في المواجهة مع إسرائيل » .. فلما اقترحت عليه اشتراك الأستاذ الدكتور محمود صلاح الدين أخصائي القلب بالإسكندرية وافق على أساس أنه كان كثيراً التردد عليه وكتمانه مضمون لطبيعة مرض الرئيس .. ولكنه عاد فوافق على اشتراك الدكتور زكي الرملي أستاذ أمراض القلب بجامعة القاهرة معنا في العلاج

وعاد عبد الناصر ليؤكد علينا عدم إذاعة حقيقة مرضه وبالفعل نشرت «الأهرام» أن الرئيس قد اعتكف لبضعة أيام لإصابته بالأنفلونزا ويشرف على علاجه الدكتور منصور فايز والدكتور الصاوي حبيب وأضيف اسم الدكتور على المفتي .. وهو طبيب الرئيس للأنف والأذن والحنجرة لتأكيد ذلك بينما لم يشترك معنا بالفعل .

وطلبت من الرئيس أن نستشير احد أخصائي القلب في أمريكا أو بريطانيا ولكنه رفض خشية أن تعرف إسرائيل أنه مريض بالقلب . ولكنه وافق على حضور « شيزوف » أكبر أخصائي لأمراض القلب بالاتحاد السوفيتي وكان عضوا باللجنة المركزية للحزب الشيوعي.

استجاب الرئيس لطلبنا بالتزام الراحة . وكان يروح عن نفسه خلال تلك الفترة بمشاهدة برامج التليفزيون .. وقد لاحظنا تحسنا كبيراً في برامج التليفزيون أثناء تلك الفترة ولكن سرعان ما رجع الحال إلى ما كان عليه حين عاد الرئيس لممارسة نشاطه من جديد!!

آخر كلمات الرئيس

كنت إلى جواره لحظة أن مات .. فكيف كان يبدو وما آخر الكلمات التي نطق

بها..؟

أذكر أنه قال لي وأنا منهمك في علاجه « أنا مش ها ارقد المرة دي .. أنا عندي مواعيد وشغل كثير الفترة اللي جاية» .. قالها وجهاز رسم القلب لم يزل متصلاً بذراعيه وساقيه .

وفي تمام الساعة الخامسة مد يده إلى جهاز الراديو بجانب سريره واستمع إلى موجز الأنباء من إذاعة القاهرة وقال « ما فيش حاجة» ثم قفل الراديو استطرد « نيكسون عامل لي مظاهرة في نابولي وكنت عايز أعرف إيه الأخبر».

وكان نيكسون قد حضر بنفسه على نابولي لحضور مناورة تقوم بها أقوى قطع الأسطول السادس من باب التهديد لجمال عبد الناصر

تحسنت ضربات القلب .. وقال عبد الناصر (الحمد لله أنا دلوقت استريحت) وكانت تلك هي آخر كلماته فقد توقف القلب فجأة .